علاقة الجزيرة العربية بالدولة الإخمينية والدولة الفرثية

نوره صالح محمد العتيبي
جامعة الملك سعود

ملخص المقالة: شهدت إيران قيام إمبراطوريات ذات طابع توسعي. وقد احتكت بالجزيرة العربية ، وقامت العلاقات من مجالات شتي كالسياسية، والحربية ،و الاقتصادية.

الكلمات المفتاحية: علاقات، الاخمنيين، الفرثيين، العرب ، البارثيين

Abstract:
Iran has empires these empires extended, and established relations with the Arabian Peninsula, such as politician, military, economic.
Key words: Arabian Peninsula, The Iranian Empire, Relations

يعد إقليم إيران واحد من الأقاليم التي اتصل سكانها بأهالي الجزيرة العربية. وتباينت العلاقات بين ما هو سلمي ، وحربي. ولعل مياه الخليج العربي كانت بمثابة واسطة نقل، واتصال بين القطر العربي ، والإيراني. وقامت ثلاثة كيانات سياسية في إيران واختلف طابع العلاقة مع سكان الجزيرة بين دولة واخرى.

الدولة الاخمينية:

لعل إيران في منتصف القرن السادس قبل الميلاد دخلت طورا سياسيا جديدا. فقد قامت الدولة الاخمينية على يد الملك قورش، الذي بناها على حساب الميديين، الذين قدموا للإيرانيين الشئ الكثير من النظم السياسية، والإدارية. و في عام 553 ق.م تمكن قورش الكبير من القضاء على ملك الميديين استاخوس. وبنجاحه في احتلال بابل، وبفضل جهوده العسكرية، نجح في رفع مستوي دولته إلى إمبراطورية. وكان طابع العناصر الإيرانية قبل قيام دولة الاخمنيين بدويا، وطبقا لتقسيم العلامة اليوناني هيرودوت ، فأن سكان إيران ينقسمون لست اقسام ، سكان مدن، وقري ، والاربعة الباقية من سكان الخيام، وكانت الاسرة الاخمينية من الاسر العريقة. ان من اهم بصمات قورش الكبير، هي توحيد العشائر الإيرانية ،والبلاد بالقوة ،وثم إعادة تقسيمها من جديد، منتزعا ملكيتها من أصحابها الارستقراطيين ، ليمنحها لمن تربطه به علاقة حسنة. وأيضا اتبع سياسة التسامح مع الشعوب، فعلى سبيل المثال سمح لليهود بالعودة لفلسطين. ([1])

القت الإنجازات الحربية بثقلها الاقتصادي، والبشري ،وخصوصا في عهد قمبيز (529- 522 ق.م) الذي سعى لاحتلال مصر، واخضع أجزاء كبيرة من الشرق الأدنى، وجهود خليفته قورش، على كاهل الرعية الإيرانيين، وبالأخص طبقة الفلاحين، فكان الفرد الإيراني، ملزما بالخدمة العسكرية، وبالضرائب لتمويل الحروب. وحاول الملك داريوس امتصاص غضب الشعب عن طريق بعض الإصلاحات، كإعادة الأراضي المسلوبة من النبلاء القدامى إليهم، والقيام بمشاريع تهدف لإصلاح المعابد. ومن اهم اعماله كانت اصدار عملة نقدية، إشارة لتوحيد البلاد، واتخاذ مدينة قام ببناءها عاصمة لدولته ، وهي إصطخر.([2])

يبدو ان الاتصال بين أهالي الجزيرة العربية ، والاخمنيين، بدأ بعد سقوط بابل عام 539ق.م. وتذكر إحدى النقوش الاخمينية، والتي تتنسب للملك قورش الثاني (557-229ق.م) قيام جميع ملوك المنطقة التي تقع بين بحر الخليج، حتى البحر المتوسط، بتقديم فروض الطاعة، والولاء، للملك الاخميني في بابل. وأشار للعناصر العربية بصراحة " كل ملوك الأراضي الغربية الذين يسكنون الخيام " الى جانب ذكره لكيانات عربية حضرية. لكن يبدو ان هناك تغير في العلاقة حصل بين أواخر القرن السادس، وأواسط القرن الخامس قبل الميلاد. فهيرودوت يذكر لنا ان العرب كانوا لا يدفعون الجرية للاخمنيين ، ولكنهم يقدمون الهدايا الثمينة عوضا عن الجزية. ([3])

ومعرفة سكان الجزيرة العربية ببلاد فارس قديمة، وهناك جدارية في مدينة شيراز الإيرانية، تعود إلى تاريخ السلالة الاخمينية الإيرانية 550-335 ق.م .وتصور عربا على جمالهم، وبزيهم يقدمون الهدايا إلى الإمبراطور الاخميني. مما يدلنا على وجود سلطة اخمينية على بلاد العرب. ([4])

وفي عهد دارا (521-489 ق.م) يذكر انه تمكن من السيطرة على جميع اسيا ، ولكن العرب كانوا مستثنيين من تقديم فروض الطاعة المذلة، لعلاقتهم الطيبة بهم، ولمساعدتهم لوالده قمبيز على احتلال مصر. لمعرفتهم بالمسالك الصحراوية المؤدية لمصر ، مقابل وعود تم تبادلها من الطرفين. ولذلك نجد ان العلاقات بين عرب جنوبي سوريا كانت استثناء عن باقي المناطق، فهناك نصوص تشير الى امتداد حكم السلالة الاخمينية على الجزيرة العربية. ([5])

كان الملك الاخميني دارا يخطط لاحتواء الخليج العربي سياسا ، والسيطرة على طرق التجارة ولكن الثـــــورات التي قامت في وجهه حالت دون تحقيقه. ([6])

ولعل رفض العناصر السكانية في الجزيرة العربية للحكم الأجنبي ، ورغبتهم في الاستقلال لمأرب اقتصادية سببا في فشل مشروع الإمبراطور دارا.

كانت نهاية الدولة الاخمينية في عهد عاهلها دارا الثالث على يد الاسكندر الأكبر، الذي تمكن من الإطاحة بحكمه، والاستيلاء على دولته، بعد نجاحه في غزو مدينة برسي بولس . وأصبحت إيران ولاية اغريقية.([7])

الدولة البارثية:

بعدما تمكن الاسكندر الأكبر من ضم إيران إلى ممتلكاته، وتحويلها لولاية تابعة له، باسم سلوقيا. ظهر على مسرح الاحداث عشيرة من الإيرانيين تسمي البارثيين او الفرثيين، تمكنوا من تصعيد نفوذهم، وحكموا بلادهم كامراء اقطاعيين، بمركز ممتاز. ([8])

وقد اعتبروا أنفسهم خلفاء للاخمنيين، وسمي عصرهم بعصر ملوك الطوائف نظرا لتمزق الوحدة الإيرانية الى دويلات متفرقة. ([9])

و يعود مرجع أصل العشيرة الإيرانية التي نجحت في تأسيس هذه الدولة، إلي إقليم بارثيا (إقليم خراسان). واستمرت دولتهم زهاء خمسة قرون، على مساحة جغرافية تمتد من أطراف الهند شرقا، حتى الفرات غربا، ومن أرمينيا شمالا ، حتى الخليج العربي جنوبا. ([10])

خصوصا ان ظروف البلاد السياسية كانت جيدة، فلم يتعرضوا للاضطهاد على يد خلفاء الاسكندر، وبالأخص السلوقيين من ناحية خارجية، ومن ناحية داخلية لم يكن هناك نزاعات داخلية ذات ضرر كبير على مراكز النبلاء. وقد خالط الفرثيين الاغريق، لدرجة الامتزاج معهم، حتى أفقدوا هؤلاء الاغريق هويتهم بعد عدة قرون. وثم ظهرت أسباب تدعوا لانفصال إيران عن الدولة السلوقية، لعل أبرزها عدم تقبل العنصر الإيراني للحكم المركزي ،الذي كان الحاكم السلوقي يحاول تطبيقه، وكانت خاتمة الحكم السلوقي او اليوناني لإيران نجاح الفرثيين في طرد عامل السلوقيين على بارت، وإقامة حكومة محلية ، حكمت البلاد حوالي خمسة قرون. ([11])

في عام 120 ق.م تمكن البارثيون من السيطرة على رقعة جغرافية، امتدت من الهند، حتى الخليج العربي. وكانوا حريصين على السيطرة على الطرق التجارية، ومن سياستهم حفر الأبار، وإقامة الخانات على الطرق التجارية في الصحراء، لخدمة القوافل التجارية. ([12])

وقامت علاقة شكلية بين الملك البارثي ، وبين ملك مملكة الحضر في بلاد الرافدين. فقد كان الثاني يتبع الاول من الناحية الاسمية فقط. وهناك من يزعم ان ملك الحضر كان ذو شأن كبير في البلاط البارثي. ([13])

وتعد الدولة السلوقية أحد اهم أعداء الدولة البارثية .وكانت فترات ضعف السلوقيين ، فرصة ثمينة بالنسبة للبارثيين، ليتوسعوا، ويستردوا الأراضي المفقودة . ففي عهد الملك البارثي مهرداد الاول الذي حكم في القرن الثاني قبل الميلاد ، حالفه الحظ لقيام خلاف في البلاط السلوقي، مما أتاح المجال امامه، ليوسع ممتلكاته، ويضم إلى تاجه سوسة، وميسان، وميديا. مما جعله يستحق لقب المؤسس الحقيقي لدولة بارثيا ، لجهوده التي امتدت على الساحة العالمية. ولكن بعد وفاته مرت الدولة البارثية بحالة انتكاس، لنشاط العشائر البدوية القادمة من وسط اسيا ، مما اعطي مجال للسلوقيين ليستردوا فتوحات الملك مهرداد الأول. وقد حصل كيان ميسان العربي على استقلاله، بفضل هذه الظروف، ووفاة الملك مهرداد الأول. ولكن بعد وصول مهرداد الثاني (89-123 ق.م) للعرش، استعادت الدولة البارثية شيئا من عافيتها، وقام ببذل جهود حربية ، حصد من وراءها لقب شهنشاه أي ملك الملوك. ([14])

ومن ابزر نقاط الاختلاف، والعداء، والتي ظهرت على العلاقات البارثية العربية، قيام بعض ملوك بارثيا باضطهاد مسيحيي الامارات العربية في بلاد الرافدين. ولعل ذلك كان بتأليب من رجال الدين المجوس. وكانت العراقيل توضع امام المبشرين، كمحاولة لخنق المسيحية. ولكن هذا لا يعني ان الدولة البارثية تبنت سياسة معادية للكنيسة بشكل دائم. ([15])

ويبدو ان الكهنة المجوس هم السبب الرئيس في اضطهاد بعض الملوك البارثيين للمسيحين. فقد قبل بعض الإيرانيين المعمودية، ودخلوا في المسيحية . مما اثار من حفيظة وقلق هؤلاء الكهنة، والذين كانت ديانتهم غير تبشيرية، ولا تقبل اعضاء جدد، مما قلص من اعداد جماهيرهم. بعكس الكنيسة التي حرص اتباعها على التبشير، بغض النظر عن أي مدلول قومي. فنجد ان اتباع المسيحية يزداد عددهم يوما بعد يوم ، وبالمقابل تقل اعداد متبعي المجوسية.

لعل أبرز ملامح السياسة البارثية نحو الخليج العربي، كانت هيمنة العاهل البارثي على الموانئ الحيوية على الساحل الخليجي ، مع الإبقاء على مساحة من الحرية. وبشكل عام يبدو ان الخليج العربي، وشمال شرق الجزيرة كانوا تحت سيطرة كسرى بارثيا. والذي حرص على تقوية حدوده ضد المناطق البدوية العربية، وعمل على تنشيط التجارة البرية العربية على الحدود. وكانت جزر البحرين ، والجزء الشمالي الشرقي من الجزيرة ، تابعة للعرش البارثي عن طريق ميسان، التي تعد اكبر دولة خليجية. و تحتم عليها ان تقيم علاقات ذات طابع متنوع مابين سياسي، واقتصادي، وعسكري، مع القوى الخارجية في الشرق. واهمها الدولة البارثية، التي لم تضايقهم في استقلالهم الداخلي ، مع حرصها على عدم تعاون ميسان مع روما. ولعل ان هناك نوع من التوافق قام بين العنصر العربي في جنوب بلاد الرافدين، وشمال شرق الجزيرة، وبين العنصر البارثي، وقد تجلى ذلك في تعاون هذين العنصرين في صد الحملة الرومانية بقيادة كراكوس. ([16])

لعل الدولتين الاخمينية والبارثية لم تكنا حرصتين بشدة على اخضاع الكيانات العربية للسلطة المركزية مباشرة. ويبدو ان الجانب التجاري ، و الاستراتيجي، كانا سببين لاكتراث هاتان القوتان في إيران ببلاد العرب. فنجد ساسة العرب يتبعون عروش إيران في العصر الاخميني، والبارثي بشكل غير مباشر. ويتمتعون بنوع من الحرية ، والاستقلال عن الإدارة المركزية . وكان اهم واجب لهم امام الملك في إيران عدم التعاون مع الرومان. ويبدو ان هناك نوع من الشعور القومي المشترك بين الإيرانيين والعرب، كونهم من اهالي الشرق ، جعلهم يتعاضدون معا ضد أهالي الغرب الرومان. ومن المحتمل من وجهة نظرنا ان قادة وساسة العرب، قد ساورهم القلق حول كيف ستكون علاقة ، وسياسة الإمبراطورية الرومانية معهم . والتي من الممكن ان تقوض استقلالهم الداخلي، الذي لم يحاول ملوك إيران من السلالة الاخمينية ، والفرثية ان يقللوا منه. فلذلك أزروا الإيرانيين ضد الرومان.

<u>المصادر والمراجع:</u>

- السباعي، محمد: تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني. مصر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع. نشر1992م. ط1
- السيد، نبيل زكي مروان: تاريخ الشرق الأدنى القديم. مصر: جامعة عين الشمس. نشر2006م. ط1.
- صراي، حمد محمد: الفرس ومنطقة الخليج العربي من القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن السابع الميلادي. الامارات: اتحاد كتاب وادباء الامارات. الطبعة 1. نشر 2007م
- الطائي، ابتهال عادل: ثورة الأقاليم العربية ضد السيطرة الاخمينية (539-331 ق.م). الموصل: مجلة التربية والعلم. مج 13. ع 1. نشر 2006م
- متزلر، ديتر: الدولة الاخمينية انتروبولوجية النشوء والصورة التاريخية للفكر العربي. لبنان: معهد الانماء العربي مج 5 ع 33،34. نشر 1983م.

- محل، سالم احمد: العلاقات العربية الساسانية خلال القرنين الخامس والسادس للميلاد. الأردن: دار غيداء للنشر والتوزيع. نشر 2013م.ط1.
- موسي، فاطمة صلاح الدين: العرب والتجارة الدولية في العصر الروماني. جامعة عين الشمس: مجلة مركز الدارسات البردية والنقوش 12. نشر1995م.
- يحيي، لطفي عبد الوهاب: العرب في العصور القديمة مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام. الطبعة الثانية. بيروت: دار النهضة العربية. نشر 1979م

المواقع الاليكترونية:

الزويري، محجوب: إيران والعرب في ظلال التاريخ والدين. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات http://www.dohainstitute.org. نشر17/ يناير/ 2011م. تاريخ الدخول 3/ مارس/ 2017

الهوامش

[1]) متزلر، ديتر: الدولة الاخمينية انتروبولوجية النشوء والصورة التاريخية للفكر العربي. لبنان: معهد الانماء العربي مج 5 ع 33،34. نشر 1983م. ص 142؛ السيد، نبيل زكي مروان: تاريخ الشرق الأدنى القديم. مصر: جامعة عين الشمس. نشر2006م. ط1.ص91-92

[2]) متزلر، ديتر: الدولة الاخمينية. ص 143-144؛ السيد، نبيل زكي مروان: تاريخ الشرق الأدنى القديم. ص 92-93

[3]) يحيي، لطفي عبد الوهاب: العرب في العصور القديمة مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام. الطبعة الثانية. بيروت: دار النهضة العربية. نشر 1979م. ص417-418

[4]) الزويري، محجوب: إيران والعرب في ظلال التاريخ والدين. المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات http://www.dohainstitute.org. نشر17/ يناير/ 2011م. تاريخ الدخول 3/ مارس/ 2017

[5]) يحيي، لطفي عبد الوهاب: العرب في العصور القديمة. ص 419-420

[6]) الطائي، ابتهال عادل: ثورة الأقاليم العربية ضد السيطرة الاخمينية (539-331 ق.م). الموصل: مجلة التربية والعلم. مج 13. ع 1. نشر 2006م. ص 1

[7]) السيد، نبيل زكي مروان: تاريخ الشرق الأدنى القديم. ص 95

[8]) السيد، نبيل زكي مروان: تاريخ الشرق الأدنى القديم. ص 95

[9]) محل، سالم احمد: العلاقات العربية الساسانية خلال القرنين الخامس والسادس للميلاد. الأردن: دار غيداء للنشر والتوزيع. نشر 2013م.ط1. ص 23

[10]) صراي، حمد محمد: الفرس ومنطقة الخليج العربي من القرن الخامس قبل الميلاد إلى القرن السابع الميلادي. الامارات: اتحاد كتاب وادباء الامارات. الطبعة 1. نشر 2007م. ص 55

[11]) السباعي، محمد: تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساساني. مصر: دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع. نشر1992م. ط1. ص 172-173

[12]) موسي، فاطمة صلاح الدين: العرب والتجارة الدولية في العصر الروماني. جامعة عين الشمس: مجلة مركز الدارسات البردية والنقوش 12. نشر1995م. ص 178

[13]) محل:، سالم احمد: العلاقات العربية الساسانية. ص 100

[14]) صراي، حمد محمد: الفرس ومنطقة الخليج العربي. ص 57-58

[15]) محل، سالم احمد: العلاقات العربية الساسانية. ص111

[16]) صراي، حمد محمد: الفرس ومنطقة الخليج العربي. ص 71-72-74-75